والعلماء أيضا يئدون البنات

الغول والعنقاء والخل الوفى ثلاثة مستحيلات فى الدنيا.. والغول حيوان وحشى خيالى لم يكن له وجود على الإطلاق والعنقاء طائر وهمى وحشى ليس له وجود أيضا.. وكلنا نعرف الخل الوفى وجوده من عدمه.

فإذا كان الغول هو حيوان وحشى وهمى من الخيال واستخدمته الأساطير للتخويف والترهيب فكيف يمكن أن نصف أمنا بالغول تحكى الأساطير ونرددها للأطفال بأن هناك أمنا الغول التى تفعل كذا وكذا.؟

كيف.!!

وليس هناك أجمل ولا أرق ولا أحن من الأم فأمنا من الممكن أن تكون أى شئ آخر إلا أن تكون غولا.وقد كرم الناس الأم بشتى أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم.. حتى الكافرون منهم يعرفون حق الأم وقدره ويقدسون كل معانى الأمومة وصحيح أنه ليس هناك من النساء من كانت نبيا ولكن كرمها الله بتنشئة هؤلاء الأنبياء ورعاية وتربية ونشأة الأطفال التى هى أهم واجبات الأمومة.

أهم كثيرا من الرسالة التى يحملها كل هؤلاء لأن رسالة الأمومة لا يستطيع حملها أى رجل وقلما تجد أُمًا فشلت فى تربية أبنائها وكل أم بداخلها سعادة وهى تضحى من أجل أبناءها نشوة ليس بعدها أخرى ولكن قلما تجد رجلا يضحى بسعادته من أجل أبنائه.

فهذه الأم كيف نطلق عليها يوما من الأيام ولو لمجرد لحظة بأنه من الممكن أن تكون هناك أم شريرة نخيف بها الصغار ونسميها أمنا الغول؟!

حقيقة فى مجتمعنا ظهر كثير من الحوادث الشاذة والأمور التى لا نستطيع تعميمها على الأمومة لأن لكل قاعدة شواذا.

ولا نجد دينا أكثر تكريما للأم بشكل خاص وللإنسانية بشكل عام من الإسلام والإسلام خص المرأة على وجه التحديد بأكثر من التكريم لأن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن المرأة تمثل نصف الإنسانية الأرق والأكثر حنانا ومن ناحية القوة فهى بلا شك الأضعف فأحاطها بكثير من العناية والرعاية والتكريم.

فالإسلام حارب فى العصر الجاهلى وأد الإناث ولكن حتى الآن وفى ظل التقنية الجديدة يبقى الطلب على الذكور أكثر من الإناث.

ولم يكن غريبا على أهل الجاهلية وأد البنات وقد تعودوا على حياة خشنة.. قاسية فهم أنواع برية.. لا تعرف قلوبها الرحمة.. لا تعرف سوى الذبح والقتل والصلب فقدوا مصادر الهداية الربانية وعاشوا بتصورات مريضة وجاء الإسلام ليقلم أظافر إنسان الغابة ويخلع أنيابه ويهذب أخلاقه.

وإذا كانت الجاهلية قد أحلت وأد البنات كراهة للإناث أو غيرة عليهن فبماذا نسمى عودة المتطورين العصريين الآن لوأد البنات؟

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ المائدة٥٠

ربما اختلفت الطريقتان.. ولكن الهدف واحد. بل الجريمة واحدة.. ففى الماضى «عصر الجاهلية» يمهل الرجل امرأته عند الحمل حتى تضع مولودها.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ «النحل ٥٨»

ثم يدفنها حية.. أما الآن فى عصر العلم.. والجينات والهندسة الوراثية.. فيمكن معرفة نوعية الجنين وراثيا وإجهاض الأم إذا ثبت أنها أنثى قبل بدء تكوين الجنين.

كرموسوم ذكر أو أنثى

مسألة تتم فى غاية الرأفة والرحمة والرقة فى التعامل مع الإناث.. لقد نجح العلم فى تهذيب أخلاق إنسان الغابة وطورها وما أبشع الطريقتين ولقسوة هذه الجريمة عدها الله إحدى الأسئلة الكبرى يوم القيامة

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ التكوير

وعندما نذرت امرأة عمران ما فى بطنها محررا لعبادة الله وطاعته وخدمة دينه فلما وضعتها أنثى قالت:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ «آلعمران ٣٦»

ومعنى كلمة مريم.. خادمة الرب

إذن السبب كان واضحا فى تمنيها أن يكون المولود ذكرا وليس أنثى لتحمل الذكر الخدمة ومشقة الأعباء وغيرها من الأمور التى لا تتحملها الأنثى ورغم ذلك وفت بنذرها ولم تفرق فيما وهبها الله وحررت ما فى بطنها لعبادة الرحمن.

وهناك فرق بين التدخل علميا فى اختيار نوع الجنين ذكرا أو أنثى وفقا لما تهوى النفوس من ميراث المال أو السلطة والعرش ومعرفة حالة هذا الجنين الصحية لتجنب خطورة الأمراض الوراثية خاصة أن هناك أمراضا لا يمكن علاجها مثل أمراض التخلف العقلى والإجرام والخلل الوراثى لغياب الأذرع والسيقان وبرغم أنه فى الآونة الأخيرة تم اكتشاف العلاج الجينى وامكانية تغيير واصلاح العيوب أثناء الحمل ولكن هذه كلها مسائل مكلفة للغاية وباهظة التكاليف ولن نستطيع فى بلدنا استخدام هذا العلاج حتى الآن هذا إن لم يكن الأمر مستحيلا بالنسبة لنا ولقد وهبنا الله هذا العلم الحديث الوراثة الجزيئية Molecular Genetics الكشف عن العيوب الخلقية رحمة بنا ووقاية لنا من ولادة أطفال مشوهين وليس للعبث باختيار الذكر من الأنثى ووأد البنات وترك الذكور.. ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴾ النجم - ٢١

ولكل داء دواء فلم يخلق الله داء إلا وهبنا القدرة على اكتشاف دوائه.. هذا من رحمته بنا ويعتبر الكثير تدخل الهندسة الوراثية فى تحديد نوع الجنين «ذكرا أو أنثى» قبل الشروع فى الحمل أو بعده جريمة وتدخلا فى قدرة الله تعالى الذى يختص وحده بهبة الإناث أو الذكور متجاهلين أن الوصول لذلك ليس ضربا من العبث أو التحدى لقدرة الله وإنما هو مجرد وقاية وعلاج حتمى.. بل وإجبارى فى بعض الأحيان.

إذ ماذا يفعل الإنسان عندما يعرف أنه إذا أنجب ذكورا سيتحتم عليه قبولهم متخلفين عقليا مثل مرض «متلازمة داوت» الذى يصيب الذكور فقط؟

هل سيقبل ذلك؟ مدعيا أنه قدره؟ متجاهلا قدرة العلم على دفع وتجنب هذا المرض الذى يمنعه من إنجاب الذكور؟

والأدهى من ذلك أنه اكتشف فى نسبة عالية جدا من ذكور - المصحات العقلية الجنائية فى أدنبرة - وجود كروموسوم إضافى xxy بدلا من xy وإن هذا الشذوذ فى الكروموسومات هو المسئول عن الإجرام.. والهندسة الوراثية تحاول إصلاح هذا الخلل وعلاجه بعزل الجين المسئول عن هذا المرض وزرع جين صحيح محله.. وقد لا تنجح حاليا. ولكنها نجحت بالفعل فى التنبؤ بمدى وقوع التشوة أو الشذوذ للجنين.. فأمراض التخلف القعلى وضمور خلايا المخ والنزف الدموى حتى الموت والأنيميا الوراثية وعمى الألوان وغياب الأذرع والسيقان.. كلها أمراض وراثية تنشأ من خلل فى جزء من البرنامج الوراثى فماذا نفعل أمام جنين ثبت وراثيا أنه سيولد مشوها؟ لابد أن يكون الإجهاض هو الحل الوحيد أمامنا فهو علاج ووقاية وأمان والوقاية خير من العلاج وقديما قال الرسول صلى الله عليه وسلم

«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

وثبت من الوراثة خطورة زواج الأقارب.. ذلك لأن هناك عوامل وراثية جينات «صفات» خفية كامنة.. منتحية لا يظهر تأثيرها «المغلوط» علينا إلا فى حالة ازدواجها مع جين كامن آخر متماثل فإذا اكتسب الطفل هذه الجينة المنتحية على وجه التحديد من كلا الأبوين ظهر فيه العيب الذى لم يظهر فى أبويه من قبل لدرجة أن الأجانب يطلقون على ابن الخال والخالة والعم والعمة أخ ولا يسمح أو يصرح بالتزاوج منه لأنهم يعلمون جيدا خطورة ذلك

وجاء فى الحديث «اغتربوا ولا تضووا» أى لا تنكحوا القرابة القريبة فإن النسل يأتى ضاويا أى ضعيفا».

تحريم زواج المحارم

وظهور زوج من الجينات المعيبة معا فى الوليد لا يحدث إلا إذا حدث الزواج بين فردين من السلالة الوراثية نفسها وهذا هو السبب الرئيسى فى تحريم زواج المحارم

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من زواج المحارم لقرب وتقارب العوامل الوراثية التى أحيانا إذا اجتمعت «فى الأجنة» أسفرت عن ولادة مرضى العيوب الخلقية مما يؤكد أن الإسلام يدعونا للوقاية والبحث عن أسباب الأمراض لتجنبها، وكل إنسان يحمل تقريبا فى المتوسط من 4-8 جينات «عوامل وراثية» خفية.. كامنة متنحية.. لا تظهر مشاكلها إلا فى حالة الارتباط بفرد يحمل نفس هذه العوامل.. وتورث فى الجنين فتظهر المأساة التى لم تظهر علينا بعد بمعنى أبسط يحمل البشر فى المتوسط من أربعة إلى ثمانية جينات متنحية قد يؤدى أى منها إلى ظهور المشاكل فى حالة وجوده مزدوجا مع جين متماثل واحتمال زيادة فرصة ظهور زوج من الجينات المعيبة معا فى الوليد لا يحدث إلا إذا حدث الزواج بين فردين من السلالة الوراثية نفسها وهذا هو السر والسبب الرئيسى فى تحريم زواج المحارم.

والتحاليل الوراثية تكشف عن هذه الجينات المسئولة عن عيب ما يكشف لنا عن ظاهرة شاذة واضحة يصعب التعامل معها أو تحملها. والهندسة الوراثية ما هى إلا محاولة تنبيه وإنذار ووقاية. والوقاية بحاجة إلى مجهود.. حيث تجعلنا فى حالة من اليقظة الدائمة لنعرف مدى أهمية التحاليل الوراثية قبل الشروع فى الإنجاب

رحمة بنا.. وبأطفالنا خاصة

دكتورة

أميمة خفاجى

أستاذ مساعد الهندسة الوراثية

جامعة قناة السويس

أنه لدينا من الاختبارات ما يساعدنا على دفع الأمراض وتجنبها وكل المطلوب مجرد عينة صغيرة من الدم وهناك العديد من الاختبارات الوراثية التى تتنبىء بوقوع شذوذ فى الأجنة ومن رحمة الخالق بنا أن العلماء توصلوا الآن إلى تمييز تلك الجينات المعيبة أو المغلوطة المسببة لتلك الأمراض الخطيرة فاختبار فصائل الدم وغيرها من الاختبارات والانزيمات للأجنة وهى مازالت فى الرحم وتحديد أنواعها يجعلنا نحصن من يتعرضون للخطر منهم ضد الأمراض المستهدفة لها.. بحيث يتم إنذار الوالدين مقدما بالعوامل البيئية التى قد تعرض أبناءهم للخطر. ومسألة تدخل العلم ونجاحه فى علاج بعض حالات العقم غير معروفة السبب «العقم غير المفسر» إنما هى مجرد أسباب لأن الحالات التى نجح فيها الحمل بالتلقيح الصناعى ما هى إلا أسباب لحدوث الحمل بل إن الله عز وجل ألهم هؤلاء اللجوء لهذه الطريقة لأنه سيهبها إناثا أو ذكورا كما يشاء لأنه ليست كل محاولات التلقيح الصناعى ناجحة فنسبة النجاح فيها منخفضة.

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى) - ٥٠)